اجزه فتركها واشتغل حتى تعلم القرآن لسبع سنين ثم
حبب اليه مجالسة العلماء وكان يكتب ما يستفيده منهم في العظام
ونحوها لعجزه عن الورق وكان يؤثر الشعر والادب الى ان تمثل
ببيت وعنده كاتب استاذه مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة
فقرعه بسوطه ثم قال مثلك يذهب بمروته في مثل هذا ابن انت
في الفقه فهذه ذلك الى مجالسة مسلم ومن اشعاره يا اهل
بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله كفاكم
من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لا صلوة له ثم قدم المدينة
وعمره ثلاث عشرة سنة فلازم مالكا فاكرمه وعامله لنسبه
وعلمه وفهمه وادبه وعقله بما هو اللايق بهما وكان حفظ
الموطا بمكة لما اراد الرحلة الى مالك حين سمع انه امام المسلمين
وكان مالك يستزيده من قراته لاعجابه بها حتى قراه عليه
في ايام يسيرة وقال له مرة لما تفرس فيه النجابة والامامة
اتق الله انه سيكون لك شان واخرى ان الله قد القى
عليك نورا فلا تطفئه بالمعصية قال فما ارتكبت كبيرة قط ثم
بعد وفاة مالك رحل من المدينة الى اليمن وولي بها القضاء
ثم الى العراق وجد في التحصيل وناظر محمد بن الحسن وغيره و
نشر علم الحديث وشاع ذكره وفضله الى ان ملا البقاع والاسماع
قال محمد بن الحسن في مدح الشافعي انه استعار مني كتاب الاوسط
لابي حنيفة وحفظه في يوم وليلة ولما صنف كتاب الرسالة
اعجبت اهل عصره واجمعوا على استحسانه وانه من الخوارق
حتى قال المزني قرأته خمسمائة مرة ما من مرة الا وقد
استفدت منه شيئا لم اكن عرفته وكان احمد يدعو له في صلوته
لما راى اهتمامه بنصر السنة وصنف في العراق كتابه القديم
المسمى بالحجة ثم رحل الى مصر سنة تسع وتسعين ومائة وصنف
كتبه الجديدة بها ورجع عن تلك ومجموعها يبلغ مائة وثلاثة
عشر مصنفا وسار ذكرها في البلدان وقصده الناس من الاقطار
للاخذ عنه وكذا اصحابه من بعده بسماع كتبه حتى اجتمع في يوم
على باب الربيع تسعمائة راحلة وابتكر اصول الفقه وكتاب

وكتاب القسامة وكتاب الجزية وقتال اهل البغي وكان
حجة في اللغة والنحو واذن له مسلم بن خالد [illegible] في الافتاء
بها وعمره خمس عشرة سنة وربما اوقد المصباح في الليلة
ثلثين مرة ولم يبقه دائم الوقود قال ابن اخته من امه لان
الظلمة اجلى للقلوب وكان يقول اذا صح الحديث فهو
مذهبي واضربوا بقولي الحائط وانفرد بالاعراض عن
التمسك بالحديث الضعيف في غير الفضائل ومن كلامه
الدال على اخلاصه وددت ان كل ما تعلم الناس اوجر عليه و
لا يحمدوني قط ووددت اذا ناظرت احدا ان يظهر على يديه
ومن حكمه البالغة طلب العلم افضل من صلوة النافلة من اراد
الدنيا والاخرة فعليه بالعلم اي مع العمل ما افلح في العلم الا
من طلبه في الذلة ولقد كنت اطلب القرطاس فيعسر علي لا يطلب
احد هذا العلم بالملك وعزة النفس فيفلح ولكن من طلبه بذل
النفس وضيق العيش افلح تفقه قبل ان ترأس فاذا ترأست
فلا سبيل الى الفقه زينة العلم الورع والحلم لا عيب في العلماء
اقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله منه وزهدهم فيما رغبهم الله
فيه فقر العلماء فقر اختيار وفقر الجهال فقر اضطرار الناس
في غفلة من سورة والعصر ان الانسان لفي خسر من لم تعزه
التقوى فلا تقوى له ما فزعت من الفقر قط طلب فضول الدنيا
عقوبة عاقب الله بها اهل التوحيد من غلبته شدة الشهوة
للدنيا لزمته العبودية لاهلها ومن رضي بالقنوع زال عنه
الخضوع لا يعرف الرياء الا المخلصون لو اجتهدت كل الجهد
على ان ترضي الناس كلهم فلا سبيل لذلك فاخلص عملك ونيتك
لله لو اوصى رجل بشيء لاعقل الناس صرف للزهاد سياسة
الناس اشد من سياسة الدواب العاقل من عقله عقله
عن كل مذموم من نم لك نم بك من وعظ اخاه سرا فقد نصحه
ومن وعظه علانية فقد فضحه التواضع من اخلاق الكرام
والتكبر من شيم اللئام ارفع الناس قدرا من لا يرى [illegible]
زكاة المروات من ولي القضاء ولم يفتقر فهو لص لا باس

Copyright © King Saud University